



دومينيك شوفالييه الراحل مؤرخ اجتماعي للبنان والعالم العربي

الياس القطار نشر في الحياة يوم 16 - 05 - 2008

لن يغيّب الموت بسهولة ذكرى دومينيك شوفالييه، الذي طبع ثقافة العالم العربي عموماً ولبنان خصوصاً، بطابع فذّ، ركيزته التأريخ الاجتماعي، وأفقه العقلانية والليبرالية.

لم يكن شوفالييه مجرد أستاذ جامعي، كالعديد من الأساتذة الجامعيين الذين لم يحفروا طيفهم في الذاكرة الثقافية، بل ترك صو
واجتماعي تميّز بأبحاثه المستنيرة وعمق تضلّعه في المنهج الحديث للتأريخ وفي تحليل الذهنيات بموضوعية ناضجة، ...ناف
الحداثة، وبأحدث ما توصلت إليه ميادين الدراسات الاجتماعية.

عزّ وقلّ أن كان لأستاذ جامعي أوروبي هذه الشبكة من العلائق مع طلاّب مشرقيين تخرّجوا عليه، ومع مجموعات من أعلا...لد
البلاد العربية وحتى مع قادة سياسيين كثر.

فشوفالييه كان في البداية باحثاً في التاريخ الاجتماعي يلهث وراء كتابة التاريخ بالوثائق المتنوعة المصادر وانتهى م... ياً
والعسكرية والثقافية والعقائدية التي شغلت العالم العربي طيلة نصف قرن من الزمن. وهو، لربما، من المؤرخين الغربيين القلا
شكل دوري، وفي زياراتهم يلاحقون الأحداث في شكل دقيق ويتناقشون فيها مع مروحة متنوّعة من الشخصيات ومن تلامذة الأ
معرفتي به، منذ درست على يده قبل أربعين سنة، وحتى قبيل ذلك، للاستفادة طبعاً، لا من حيث اختصاصه في التاريخ الحد
التاريخ الوسيط، بل من التوجّه الاجتماعي في دراساته، تسمح بالقول أنّه كان يسعى، من جهة، لتقديم خدمة للأجيال العربية الط
العقائدي المغلق والضيق، والتوجّه نحو دروب العقلانية والحداثة والنقد في تحليلها لتاريخ بلادها في الماضي والحاضر، في م
الموهومة للجماعات المشرقية، ولكنّه لم يوفّق في مسعاه إلاّ في نقد الجماعات التي يحتمل تركيبها العضوي النقد، وتهرّب هو،
التي تتمنّع طبيعتها الأساسية وكيانها الكليّ عن أيّ نقد. ومن جهة أخرى، أدّى شوفالييه خدمة لوطنه بتحليله العقلاني لتطور
العربية. وأعتقد بأنّ ذلك كان له أثره في بعض دوائر السلطات الفرنسية المختصة، وقد أثمرت توجّهاته تقريب فرنسا من المما

ولد شوفالييه، في فترة ما بين الحربين العالميتين، في فرنسا في 19 آب أغسطس عام 1928 وتلقى من والدين طبيبين
ليبرالية"يسارية"، وقد أثّر ذلك في صداقاته لاحقاً، بحيث لم يميّز بين الليبراليين الحقيقيين والمتظاهرين بها بتقيّة. وكا
وتقنياتها. ولربما كان لعلاقة فرنسا بالشرق أثره في توجهه إليه دارساً لغته وتاريخه محاولاً كشف رموز العلاقة الجدليّة فيه
المُستعمرة، فتعمّق في تاريخ الشرق الإسلامي محللاً لحضارته وتراثه.

كانت أولى خطاه في القاهرة في 1955 ومنها انتقل في 1956 إلى لبنان حيث درس اللغة العربية في بلدة بكفيّا. ومن لبنان ا
مرآة الصراعات الدينية والطائفية والسياسية في الشرق الأوسط. وخلال دراسته وأبحاثه في لبنان من 1957 حتى 1964 وتد
إلى الأيديولوجيات العربية وصعود التيارات القومية، فعاصر ثورة 1958 والمدّ القومي الجماهيري في منتصف القرن العشرين.

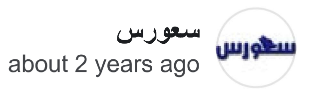
ثم انتقل إلى تونس للتدريس فيها من 1964 إلى 1968 ومنها إلى المركز الوطني للبحوث العلمية في باريس حيث كلّف بال
مناقشته أطروحة دكتوراه دولة في 1971 التي صدرت في كتاب في السنة نفسها بعنوان"مجتمع جبل لبنان في عصر الثورة ا
دار النهار في 1994. وترقّى في جامعة السوربون إلى رتبة الأستاذية في 1976.
في جامعة السوربون، كانت له حلقة دراسية متنوعّة الاختصاصات عن الشرق الإسلامي، ضمّت خليطاً من قوميات وأعراق م
القاعة كانت تضيق بنا، في مشهد لم ألحظه في حلقات غيره من الأساتذة.
وإلى جانب هذه الأنشطة كان يعمل على عقد المؤتمرات العلمية في مواضيع شتىّ ومن أهمها مؤتمر"المجال الاجتماعي للمدينة
العرب من خلال أرشيفهم".

كان شوفالييه محاضراً نشيطاً ومشاركاً في غالبية المؤتمرات التي تعقد عن العالم الإسلامي. ونادراً ما كان يتوانى عن تلبية ا
كثيرة يكرّر ذاته.
أهمّ مؤلفات شوفالييه وزينتها كان كتابه عن"مجتمع جبل لبنان زمن الثورة الصناعية". وقد مهّد له، على جاري عادة الباحث
على ما أظنّ،"في أساس الاضطرابات الزراعية اللبنانية في 1958"، الصادر في المجلة الشهيرة"الأنّال، الاقتصاد، المجتمع، ا
لظاهرة صور السياسيين في لبنان، وأخرى عن التقنيات والمجتمع في سورية، وفي لبنان، وعن الحرير، والأطر الاجتماعية ف
وفي الكتاب عن جبل لبنان تظهر ملكة المؤرخ المتأثر جدّاً ب"مارك بلوخ"حتى في عناوين أبحاثه، وبفرنان بروديل وبتوجّه
مدارس التأريخ بتوجهه الاجتماعي - الاقتصادي.
وإذا كان كتاب شوفالييه عن جبل لبنان مدرسة في مضمون التاريخ فهو كذلك على صعيد المنهجية من حيث شمولية استعما
قريب أو بعيد عن الموضوع واستخدام الإحصاءات، وصرامة البحث ودقته والروح التحليلية النقدية واستعمال التقنيات النوعية
كان دوينيك شوفالييه مدرسة لجيل مميّز من المؤرخين النابهين خصوصاً في لبنان.
*** مؤرخ وأكاديمي لبناني**

انقر هنا لقراءة الخبر من مصدره.

التعليقات: 0







مواضيع ذات صلة

- **نحو ربيع عربي آخر**
- **ثقافة المراجعة ... زمن التراجع . حين تثاقف الأطراف العربية في المغرب و الخليج مشرقاً كان مركزاً ... وينتظر الخلاص 4 من 5**
- **"مؤرخون من لبنان" لالياس القطار . ثمانية عشر مؤرخاً يختلفون على قراءة التاريخ وكتابته**
- **حقائق التاريخ لعبة لغة ووهم خيال ...؟**
- **هوامش للكتابة . معرفة غولدمان**